نـافـذة

الحاضر حَسن

الغد أفضل، يدفعان بنا لبناء التفاؤل الذي يجب أن يتجلى على المجموع الذي يحضره من صناعة التصارح التي غدت من أهم ضرورات حياتنا، المدعوون إليها نحن السوريون، بعد أن فقدنا مقوماتها نتاج ما مررنا به من عذابات وآلام، خوف وقلق وأرق، لم يهرب من أي واحد منا، فالحياة مهمة، والخوف منها يعني الهروب إلى المجهول، أو إلى ثقافة الأفكار الهادمة القائمة بين منظومتي العيش الاستجدائي والتعايش القسري، حيث إرادة الخبث أن نبقى معهما، بدلاً من دعم أفكار التكامل، وصولاً إلى التجانس.

كذلك كم هو جميل وواقعي أن نصل إليها بعيداً من أي زيف أو تزييف أو خداع ونفاق، فالذي يمتلك مقوماتها، يؤمن بإنسانيته، وإنّ ما يحتاجه لمواكبتها والانخراط في جمالها لا يحتاج إلى الكثير، إنما التناقضات التي أسقطت على مجتمعنا، فاقت استيعابه، وأخذت به إلى حمل همومه وقضاء وقته مختلفاً مع نفسه أولاً، ومع محيطه ثانياً، ما أملأ يومه بالانزعاج والامتعاض والتمرد وضياعه بين الرفض والقبول بما يملي عليه على مضض، وظهر في حالة مركبة، لنجده جمع الحلال والحرام، والكفر والإيمان في آن، وعزز ذلك المسؤولون عنه سياسياً واقتصادياً ودينياً، ناهيك عن الفتاوى التي نزلت عليه كالمطر، بغاية جذبه إلى هنا أو إلى هناك، من دون رادع لها أو وازع من ضمير، ما زاد الطين بلةً عليه، فأدخله كل ذلك رحلة التيه في مجمل حياته، وأحارته الأسئلة: هل ينتظر؟ أم يسير إلى الأمام؟ إلى الوراء؟ إلى الإعمار أم إلى الدمار؟ لا حلول وسط، فهذا يأخذ به إلى سيطرة السياسة، وذاك إلى سيطرة الكهنوت وإرادة الجميع إخضاع هذا الشرق وبشكل خاص السوري منه إلى حالة من ضياع وشرذمة مكوناته النوعية الحاملة لوجوده والعمل الكيدي على إبقاء جغرافيته مسارح للموت عبر تقاتل الأبناء وضخ الغرباء والتغذية المستمرة لها، كي يستمر المشهد مؤلماً وبلا حلول.

صناعة التصارح لا تتم إلا من خلال طرح صريح؛ بل غاية في الصراحة مع حضور يكفل بتحقيق الثقة وتوليد التجانس مع أبناء الوطن المؤمنين به، لأن المنطقة برمتها متجهة إلى وضع جغرافي سياسي واجتماعي جديد، ينتج منهجاً إقليمياً مختلفاً عن السائد، كيف بنا نكون فيه إن لم نسارع لتشكيل دعوة لبناء وحدة وطنية قوية، تراعي المصلحة الوطنية العامة، ترسم الكلمة الجامعة، وتدعو الجميع لتحمل المسؤولية، كل من موقعه، ومعها يشعر كل وطني أينما وجد على تراب الوطن بروابطه بها بعيداً عن الشعارات الخادعة، أو أي كلام منمق؟ وإن بقينا على ما نحن عليه فلا مناص من بقاء الشقاق ونفث البغضاء، وإلقاء التهم، لذلك أجد أن المصارحة تؤدي إلى تعميق الود الذي يحفظ المصالح ورعاية الشؤون الحياتية، وأثق أن كل مواطن لن يتلكأ في حمل رسالة التضحية والاندفاع للإخلاص بوطنية عالية.

كيف بنا نتجه إلى الإمساك بفلسفة الحياة الجميلة القادمة من عمقها المتعلق بالإله الجميل المحب للجمال المنثور على جميع موجوداته، حيث سكنه في جوهرها؟ وإنّ ما نهدف إليه أن يعود الناس للتحرر مما أسقط عليهم، لأنهم أسمى من مجرد مخلوقات نهمة للطعام والجنس والنوم، وأن التلذذ في البناء الأسروي الجيد وإعمار الوطن والاشتغال له هدف رئيس من أهداف وجودنا ضمنه، وتصنيف ما تحدثنا عنه يأتي بعده، ما يدعونا للقول: إنه آن الأوان بعد ما مر بنا من صعاب، وأخذنا الدروس والعبر والمواعظ، أن نظفر بآثار الحكمة وأصيل الفكرة والسير من جديد على سبل الخير والفلاح، وأن نصر على الخلاص، ومن ثم السعي للوصول إلى النجاح، وهذا يتم بتركيزنا على تطوير العلوم الاجتماعية والفنون والآداب، فمعارج السمو والاقتراب من الكمال، تتطلب مجاهدة النفس بحب ومعرفة وعلم، وفعالية الأهواء السالبة تنتهي عند التقدم إلى الأمام وطرح التصارح البناء الذي يعتبر عنصراً رئيساً من عناصر التقدم، وعنواناً نوعياً لمفهوم الحياة الديمقراطية، ويكفل للإنسان حرية الرأي والقول، حيث يظهر الحضور الواقعي لمسار الحياة، وكم يكون جميلاً ونوعياً حينما يصارح المواطنون الوطنيون ساستهم وقادتهم بهدف تطوير مصلحة الوطن في حدود الحجة المقنعة والمنطق السليم والحقائق الدامغة والأرقام الناطقة بالإثبات العلمي، لا شك أننا ذاهبون إلى ربيع غض رائع، رونقه الخير الخصيب وعطاء ثراء فريد جديد، لا هدم فيه إلا للتخلف والتبعية والانجرار وراء الفرقة الدينية والاجتماعية التي أخذت بنا للاغتراب السياسي.

لقد أضعنا الكثير من الفرص، وفشلنا في مواضع كثيرة، تخلفنا عن الركب وإرادته أن نتخلف عنه، قبلنا ما نحن عليه، لم نذهب بإرادتنا، بل وقعنا في أشراكه، ما أدخلنا في دائرة الصراع على الوجود وموجوداته، ولو أننا تصارحنا لما وصلنا للذي ظهرنا به، ولكنا اختزلنا من الزمن الكثير، ولكان الركب أخذ بيدنا على الأقل، وكنا بقينا قريبين منه، فما الذي حصل؟ في اعتقادي أننا تآمرنا على وجودنا، قبل أن تتكالب علينا الأمم، ورضينا تآمراتها علينا، لذلك أصر على بناء الوحدة الوطنية، التي يسعى أعداؤنا لفرط عقدها بشكل دائم، ويحز على أعدائنا أن يروا انتصارات وطننا، وعودتنا إلى بعضنا تعني عودة سورية العروبة والعرب لاستعادة مركزها العربي والدولي، فأعداؤنا لم يبخلوا عن بذل المال والسلاح لبذر بذور الفتن، واستعانوا بأبواق وإعلام ملؤها الأكاذيب، أعداء عرفنا مكرهم، ورأينا مؤامراتهم، لذلك أناشد من أجل وحدة الصف، وأن يكون جميعنا جنوداً أمناء في وطننا إلى جانب جيشنا العربي السوري وقائد هذا الوطن، نعمل على حمايته ورعايته، ولنذهب تحت مظلته للبناء والإعمار وإصلاح ذات البين.

المهم الآن هل عرفنا أين نحن؟ لذلك أجدني أدعو إلى صناعة التصارح الذي يؤدي إلى تطوير المجتمع ورفع مستوى أبنائه فكراً وعملاً ومعيشة، ويدعم الاقتصاد الوطني الذي لا ينعكس فقط على شعبنا العربي السوري؛ بل على الأمة العربية بأسرها قومياً، لكونها تؤسس فيه الأسس السليمة، كما أنها تدفع بعجلة الإنتاج، وتعبئ الطاقات الوطنية، وتعيد للمعطل منها فاعليتها وحضورها، لذلك صيانة سورية وحماية ثوابتها وشعاراتها الوطنية والقومية تشكل أهم أولويات الهموم للشعب والجيش والقائد، وبما أنّ هذه المشاعر تسود فكر جميع الوطنيين الذين تتجلى عليهم روح الوطنية الشامخة والقومية السامية والفهم العميق لما مر بنا، ما يؤهلنا لأن نخرج من أزماتنا أكثر تضامناً وأشد تآزراً وأمضى عزيمةً.

هل تؤمنون معي بأنّ الحياة المعيشة سواء أكانت مأساة أم ملهاة، غنية أو فقيرة، أو بينهما، متفائلة أو محبطة، تمثل سلماً للجميع؟ الكل فيها مسموح له أن يصل إلى ما يريد، شرط توافر الاقتناع بما يصل إليه، رغم كثافة الأحلام، وإلا لكان الجميع في الأعلى، أو سقطوا إلى الأدنى، لذلك يجب أن نتصارح مادامت هناك إيجابيات بناءة بدأت تطفو على سطح وجودنا، والضرورة تدعونا لالتقاطها، والعمل منها وعليها بالسرعة المفيدة لنا ولوطننا الذي ننتظر معه، ونترقب انجلاء ما حل بنا وبه، والشعب بمجموعه يؤيد بقوة نهج دحر الإرهاب، ويشد من عزيمة أبطال جيشه الباسل العاملين أبداً على الانتصار لحرية الوطن وحريتهم وحقهم في الحياة.

د. نبيل طعمة

«من الشام سلام لفيروز» من الوفاء ردّ الجميل

أسامة حجحاج لـ«الوطن»: أعمالي في معرضي التكريمي «للسيدة» هي تطور لنهجي منذ عشر سنوات

سوسن صيداوي

العلاقة بين الشام وفيروز علاقة خاصة، ومشاعر السوريين المكنونة للسيدة مميزة عن غيرها من الفنانين. فالسوريون يعتبرون أن السيدة فيروز خاصتهم، لأنها مرتبطة بالصباحات والمساءات. هي المحبوبة والمعشوقة، هي فصول السنة الأربعة. فيروز... هي بساطة الريف وفرح الأعراس وكل الأعياد، هي طابع وطني سوري، حضورها مرتبط بمناسبات دورية عدة وبأماكن وبقطع جغرافية منها:معرض دمشق الدولي، نهر بردى، وجبل الشيخ. بصوتها وأغانيها حيث المقاومة والانتصارات السورية، بنبرات صوتها عانقت كل شبر في سورية، ليس هذا فقط بل كما قالها سعيد عقل «فيروز تقطع القطيعة بين لبنان وسورية» حيث أعادت السيدة العلاقات بين اللبنانيين والسوريين في الخمسينيات، و«قطعت القطيعة» بين البلدين الجارين في الستينيات، وباتت رمزاً لشراكة مهما حاولت الظروف أن تجعلها مضطربة.

> مزج بين الفن الكلاسيكي والعالم الرقمي الديجيتال لتفاعل مكونات العناصر

ولأن الوفاء طبع متأصل للسوريين، لهذا قام أحد أبنائها الفنان التشكيلي أسامة حجحاج بافتتاح معرضه «من الشام سلام لفيروز» في غاليري الأرب هاوس في دمشق. يضم المعرض الذي يستمر حتى ٢٢ كانون الثاني الحالي، ستة عشر عملاً متفاوتة الحجم، لوحات للسيدة فيروز مستوحاة من أعمالها مع إضافة شخصيات فنية عملت معها كعاصي وزياد الرحباني، عبر نوع من التوليف ما بين الطباعة والتحسيس، مازجاً الفنان التشكيلي لمساته الفنية المتناغمة بين الرسم الكلاسيكي وتقنيات الكمبيوتر والرسم الحروفي على سطح اللوحة. هنا لا بد من الإشارة إلى أن تجارب الفنانين في الدول العربية الذين برعوا في هذا المضمار قليلة، وبرأي الكثير من الاختصاصيين إن للفنان مطلق الحرية في استخدام المواد والأدوات التي تعبّر عن فنه وتقدمه في النهاية ضمن إطار جميل.

من الوفاء رد الجميل

اقترح التشكيلي أسامة حجحاج (١٩٧٢) في تجربته الجديدة، ألبوماً لونياً موازياً لأعمال فيروز بوصفها تاريخاً حيّاً واكب دمشق في مجدها وألقها، راغبا من خلال معرضه رد الجميل لصوت رافق كل مناسبات وأوقات الدمشقيين بشكل خاص والسوريين بشكل عام. حيث قدمت الأعمال بطريقة مازج فيها الفنان حجحاج صورة المغنيّة بالشخصيات الأخرى والحروف مع ألوان معتّقة، في محاولة كما تحدث لردم المسافة بين الرسم الكلاسيكي والنبرة الغرافيكية المتطورة إضافة إلى الكولاج قائلاً: «ما أود تأكيده من خلال معرضي الحالي هو أن سورية التي أعطت الحضارة والثقافة والإنسانية الشيء الكثير، هي عصية على الموت بعد سبع سنين من حرب شُنّت لفنائها، وستبقى دائماً قادرة على تكريم من وقفوا إلى جانبها في محنتها وكانوا أوفياء لها، واليوم وفي معرضي «من الشام سلام لفيروز» من الضروري أن نقوم بتكريم السيدة فيروز، وخاصة أن في كثير من الأحيان يأتي التكريم متأخراً. ومن ثم عرفان بالجميل لهذه السيدة العظيمة التي لم تدخر الكلمة واللحن في خدمة قضايانا منذ أن احتضنتها دمشق وإذاعتها في الخمسينيات، إضافة إلى مواقفها الداعمة للمقاومة وللقضايا سواء في حرب تشرين أم أغانيها للقدس والأقصى والجنوب اللبناني.. إذاً جاء المعرض كتكريم وهدية متواضعة للسيدة فيروز. الأعمال الستة عشر والمقدمة في معرض اليوم، تعتبر تطوراً لتجاربي وللنهج الذي اتبعته منذ عشر سنوات، فالبدايات كانت مع فن الغرافيك الذي تدرج مع التجربة والخبرة، ليمتزج مع الألوان الزيتية والإكريليك مع إدخال«عنصر الديجيتال» بين مكوناته، وهو دمج بين الفن الكلاسيكي والعالم الرقمي لردم الفجوة التي تحول دون تفاعلهما ضمن عمل تشكيلي واحد، وأنا لا أعتقد أن هذا الاندماج يقلل من القيمة الفنية للعمل، فمهمة الفنان هي خلق الجمال والتفاعل مع بيئته وأدوات حضارته. هذا هو المعرض الفردي السابع لي، وأنا اخترت إطلاق معرضي من هنا من دمشق، إضافة لكون الشام لها مكانة خاصة في قلوبنا، وكذلك للرابط القوي الذي بين الشام وفيروز.

وعلى فكرة تمت محاربتي بشكل كبير في عام ٢٠٠٧ لأني أدخلت الآلة على الفن التشكيلي، ولكنني أرد على الاتهامات بأن إدخال الآلة في الفن لا ينتقص من قيمة العمل الفنية، فالصاروخ لا ينتقص من القيمة الفنية للمنحوتة، هذا وكنت قد طوّعت برامج الكمبيوتر لخدمة الفن التشكيلي، وليس للعمل الغرافيكي أو التصميم الإعلاني».

التكريم سوري

تحدث معاون وزير الثقافة السيد علي المبيض عن طبيعة العلاقة الخاصة التي تربط بين السوريين وفيروز قائلاً «كلنا نعلم بأن العلاقة جميلة وتفاعلية وتبادلية بين السوريين وفيروز، حتى تكاد تكون جزءاً من الذاكرة الجمعية–خاصة للدمشقيين– لارتباط حفلاتها مع الرحابنة على مسرح دمشق الدولي وتغنيها بمدينتهم. ومن جهة أخرى أن يأتي التكريم للسيدة فيروز من فنان سوري فهذا أمر جميل وإيجابي، ومعبر عن حب السوريين لهذه القامة الغنائية العملاقة التي شكلت قيمة فنية مضافة للموسيقا العربية. وبالنسبة للفنان التشكيلي أسامة حجحاج، إنه فنان جميل مثل لوحاته في أسلوبه الذي يدعى «الكمبيوغراف» حيث مزج ما بين الغرافيك والتكنولوجيا المعاصرة «الكمبيوتر» في تجربة مميزة ومهمة.

الشام وفيروز

بدأت حكاية فيروز مع دمشق عام ١٩٥٣ حينما سمعها الأمير يحيى الشهابي كبير مذيعي إذاعة دمشق ومدير البرامج فيها الذي على الفور تواصل مع حليم الرومي الذي استدعاها مع عاصي الرحباني، حيث عرض عليهم الأمير الشهابي العمل في إذاعة دمشق، فوافقوا لأن إذاعة دمشق كانت من أقوى الإذاعات العربية. وأصبحت فيروز تحضر كل أحد مع الأخوين الرحباني إلى دمشق، لتسجيل أعمالهم لمصلحة الإذاعة السورية. ومن هنا الحب الكبير الذي أعطته دمشق لفيروز، قابلته الأخيرة بحب أكبر من خلال مجموعة من الأغنيات غنّت بها دمشق. فشاميات فيروز من أجمل ما قام الرحابنة بتلحينه وجميعها قدمتها فيروز على مسرح معرض دمشق الدولي الذي ارتبط باسمها في ذاكرة الدمشقيين مثل «يا شام عاد الصيف» و«شام يا ذا السيف». ولا يمكن أن يطويه النسيان بأن من أهم حفلات السيدة في أيلول ١٩٦١، حيث شدت بأجمل أغنياتها عن الشام «سائليني يا شام» رائعة سعيد عقل الشعرية. ومن الأغاني أيضاً التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعرض دمشق وفيها الكثير من المعاني أغنية «قرأت مجدك» وأيضا «طالت نوى وبكت»، وبعدها تعود فيروز إلى سعيد عقل فتغني قصيدة «نسمت من صوب سورية الجنوب». وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأغنية الوحيدة التي قدمتها فيروز عن الشام وليست من تلحين الرحابنة، هي قصيدة «مر بي يا واعداً وعدا» التي لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وكانت أيضاً من شعر سعيد عقل. وفي عام ١٩٧٣ جاءت أغنية «بالغار كلّلت أم بالنار يا شام» من نظم وتلحين الرحابنة بعد الانتصارات التي حققها السوريون في معارك«حرب تشرين».

الموسيقي المجري بيلا بارتوك

عبقري الموسيقا الكلاسيكية في القرن العشرين

إدريس مراد

الموسيقي المجري بيلا بارتوك من عباقرة الموسيقا في القرن العشرين، لخصوصية أسلوبه بتأليف الموسيقا، وذلك عبر معرفته العميقة بالثقافة الموسيقية الأوروبية وفي عمق صلته بموسيقا بلاده، وتالياً قدم أعمالاً ذات خيال خصب وتعبير نبيل، لتكون من أميز وأجمل ما في القرن العشرين، وبها أوصل موسيقا بلاده إلى العالمية. عموماً رغم دراسته الأكاديمية ولكن نستطيع القول إن غنى أعماله تعود إلى ارتباطه الوثيق بالموسيقا الشعبية.

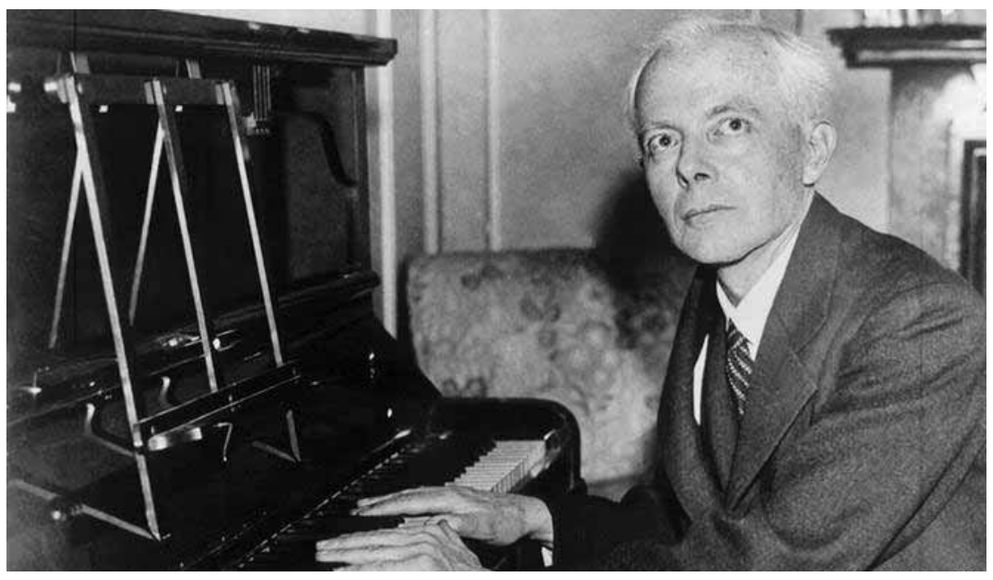

> حقق سيطرة كاملة على الآلات وأخضعها لسمات أسلوبه الخاص وللرنين الموسيقي الذي اختاره

كتب بارتوك العديد من الأوبرات منها «قصر الدوق ذي اللحية الزرقاء» وهو عمل يجمع صفات الأوبرا والأوراتوريو، كتبه الشاعر بالاس ليحوله إلى دراما ويحمل الكثير من الرموز والتأويلات والتراجيديا، وموسيقاه مكتوبة بطريقة درامية يعتمد على التلوين بحبكة بارعة، أما الغناء فهو جزء لا يتجزأ من الموسيقا. ومن أعماله أيضاً كونشيرتو البيانو الأول ويعد أحد الأعمال الصعبة حيث يحتاج إلى مهارات عالية في العزف ولا سيما في سرعة الحركة والحالة الزمنية في العلامة الموسيقية ودقة المضمون، ويحاول بارتوك فيه السيطرة على كل شيء حتى من ناحية الإيقاع، هنا في هذا العمل الآلات الإيقاعية لحنية، بل يستخدم ألوان الآلات الإيقاعية المختلفة، ليخلق عالماً صوتياً مختلفاً، وحواراً فريداً بين هذه الآلات والبيانو.

ومن مؤلفاته الكبيرة نذكر أيضاً المجلدات الستة لمقطوعات البيانو باسم «العالم الصغير» التي اشتغل عليها ما يقرب من خمسين عاماً بين عامي ١٩٢٦ إلى ١٩٧٣، وتعد مرجعاً معاصراً لأهم التجديدات المقامية والإيقاعية والهارمونية والكنترابنطية، ليس في موسيقا بارتوك فقط بل في موسيقا القرن العشرين، وتعتمد على عناصر شعبية تناولها بخيال بارع. وركز فيه خلاصة خبراته الطويلة كمعلم للبيانو وباحث تراثي ومؤلف، ويضم ١٥٣ قطعة مقسمة على ستة أجزاء.

أما عمله موسيقا للوتريات وآلات الإيقاع والشلستا الذي أنجزه عام ١٩٣٦ فحقق فيها سيطرة كاملة على هذه الآلات وتجلت فيها أنضج سمات أسلوبه وخاصة النسيج البوليفوني والرنين الموسيقي.

ليس غريباً بأنه تمت دعوة بيلا بارتوك إلى مؤتمر العربي للموسيقا عام ١٩٣٢ في القاهرة حيث تولى رئيس لجنة التسجيل فيه، لأنه كان مطلعاً على الموسيقا العربية على إثر رحلاته في بعض دول لغة الضاد منها واحة بسكرة في الجزائر وقام بجمع موسيقاها الشعبية من أفواه الفلاحين، وكبار السن ليصل إلى خلاصة الأغنية التراثية من دون أي تشويه، وفعل الأمر ذاته في تركيا وبلغاريا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وأوكرانيا واليونان وألبانيا.

لقد وجد بارتوك أن الطريق إلى التحرر من التونالية التقليدية يكمن في الاستعانة بخامات الموسيقا الفلكلورية في رومانيا والمجر وبلغاريا التي لم تتأثر بأي مؤثر خارجي يفسد أصالتها وقد وجد فيها عناصر موسيقية متميزة كالمقامات القديمة والإيقاعات المتحررة، عول عليها في تطعيم مؤلفاته بلون جديد برزت فيه شخصيته، وما فعله هذا الموسيقي بالموسيقا الفلكلورية يناقض ما كان شائعاً في المدارس القومية الرومانتيكية التي تناولت الموسيقا الشعبية بالتعديل والتحوير حتى تصبح ملائمة لشخصية الموسيقا الفنية للتونالية التقليدية.

ولد بيلا بارتوك في بلدة صغيرة في المجر عام ١٨٨١، كان والده عاشقاً للموسيقا الذي أسس أوركسترا للهواة وعزف فيه على آلة التشيللو، وعندما توفي وبارتوك في الثامنة من عمره، اضطرت والدته أن تعمل بالتدريس في مدن مختلفة، ما أتاح له وهو صغير التعرف على الموسيقا الشعبية لبلاده، ومن ثم درس البيانو، وفي التاسعة من عمره كتب مقطوعات صغيرة للبيانو، وبدأ دراسته الجدية عام ١٨٩٣ في براتسلافا، وحين وصل إلى الثامنة عشرة من عمره كان قد تعرف على موسيقات عديدة منها موسيقا باخ وبرامز وفاغنر، وبعدها أتم دراسته في أكاديمية بودابست ودرس التأليف أيضاً على يد كوسلر، وعُين أستاذاً للبيانو في المعهد ذاته عام ١٩٠٧، توفي عام ١٩٤٥ تاركاً خلفه عدداً لا يحصى من الأعمال الموسيقية، أصبحت مثالاً ومصدراً مهماً لكل من يريد أن يعمل على موسيقاه الشعبية ويحولها إلى لغة عالمية صالحة لكل زمان ومكان.